غير مرخصة للطباعة

المحـور الثامـن

التَّاريخ والشخصيَّات الإسلاميَّة

١٤٢

عمر بن عبد العزيز

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كُلِّ مائة سَنَة من يُجدِّد لها دِينَها**». رواه أبو داود والطبراني والحاكم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصالحات، الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله. والصلاة والسلام على البَشِير النَّذير، والسِّراج المُنِير، سيِّدِنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

فقد أطلعني الأخ الكريم الأستاذ محمود عوض على هذه الخطبة الَّتي أذيعت من مسجد عمر بن الخطَّاب بالدوحة في السنة الماضية ١٤١٦هـ، وقد تناولت فيها سيرة علم من أعلام تاريخنا الإسلامي المجيد، وإمام من أئمة الهدى والتجديد، وهو عمر بن عبد العزيز، الَّذي اعتبره علماء أُمَّتنا خامسَ الراشدين.

وأمتنا أحوج ما تكون إلى إبراز هذه المعالم الهادية، وهذه النقاط المضيئة في تاريخها، بعد أنْ شُوه هذا التاريخ، وظنَّ الظانُّون أنه ظلمات بعضها فوق بعض.

ولا أحسب أُمَّة حفل تاريخها بأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وأئمة التقى، وحملة رسالة الحق، ودعوة الخير: مثل هذه الأُمَّة.

QaradawiBooks.com

ولكن هذه الأُمَّة ابتُليت بالمتطاولين على أمجادها، المشكِّكين في أصالتها وحضارتها، المردِّدين لدعاوي خصومها، حتَّى تطاولوا على مثل عمر بن عبد العزيز، وهو قمَّة من قممها الشامخة.

لهذا سـرَّني ما قام به الأخ محمـود عوض من إفـراغ هذه الخطبة وكتابتها والتعليق عليهـا، حتَّى إنَّه صاغ بعض وقائعهـا من مصادرها، وكنتُ أكتفي بروايتها غالبًا بالمعنى والمضمون، فجزاه الله خيرًا.

شكري للأخ محمود، ولنادي الريَّان، ونفع الله بهذه الرسالة كلَّ من يقرؤها. اللهمَّ آمين.

يوسف القرضاوي

٥ من رجب ١٤١٧هـ

١٦ نوفمبر سنة ١٩٩٦م

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مقدمة

قال مالك بن أنس، عن عبد الرحمن بن حَرْمَلَة، عن سعيد بن المسيّب أنَّه قال: «الخلفاء: أبو بكر، والعُمَران»، فقيل له: «أبو بكر وعمر قد عرفناهما، فمن عمر الآخَر؟» قال: «يوشك إنْ عشتَ أنْ تعرفه»، يريد عمر بن عبد العزيز[١]، وفي رواية أخرى عنه أنَّه قال: «هو أشجُّ بني مروان»[٢]، وروى البيهقيُّ وغيره عن نافع قال: بلغنا أنَّ عمر بن الخطَّاب قال: «إنَّ من ولدي رجلًا بوجهه شجَّان يلي فيملأ الأرض عدلًا». قال نافع: ولا أحسبه إلَّا عمر بن عبد العزيز[٣]. وهكذا جاءت الآثار والأخبار تُبَشِّر بعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الَّذي وُلِدَ في حلوان وهي ضاحية من ضواحي القاهرة عاصمة مصر الآن[٤] في سنة إحدى، وقيل ثلاث وستِّين للهجرة، وأبوه هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٠/٤٥)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٠٠/٩)، نشر دار الفكر، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن (٣٣١)، تحقيق سمير أمين الزهيري، نشر مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ. والبيهقي في دلائل النبوة (٤٩٢/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٥هـ.

(٤) ذكر هذا السيوطي في تاريخ الخلفاء صـ ١٧١، تحقيق حمدي الدمرداش، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

وَلِيَ عمرُ الخلافة فملأ الأرض عدلًا بعدما مُلئت جورًا، وعمَّا قليلٍ سوف نقرأ في هذه الرسالة تفصيلَ ذلك، ولكنَّنا نشير في هذه المقدِّمة إلى عدَّة نقاطٍ منها ثناء النَّاس عليه واحترامهم له بعد وفاته رضي الله عنه، ومن ذلك ما يروى أنَّه جاء رجلٌ إلى هشام بن عبد الملك فقال: «يا أمير المؤمنين، إنَّ عبد الملك أقطع جَدِّي قطيعة، فأقرَّها الوليد وسليمان، حتَّى إذا استخلف عمر رحمه الله نزعها»، فقال له هشام: «أعد مقالتك»، فأعادها مثل ما قال، فقال هشام: «والله إنَّ فيك لعجبًا إنَّك تذكر من أقطع جَدَّك القطيعة، ومن أقرَّها فلا تترحم عليه، وتذكر من نزعها فتترحم عليه! وإنَّا قد أمضينا ما صنع عمر رحمة الله عليه»[(١)]. وهذا يدلُّ على مكانة عمر في نفوس النَّاس وشيوع احترامه فيهم، ولو كان غير ذلك لما ترحَّم عليه مثل هذا الرجل.

ومنها: تلك الشهادة من بني أُمَيَّة على لسان ابن عمِّه مَسْلَمة بن عبد الملك، وبنو أُمَيَّة هم أهله الَّذين بدأ بهم من بين النَّاس عدله وحكمه الراشد فشدَّد عليهم وردَّ أموالَهم إلى بيت المال كما سيأتي، قال مَسْلَمة لعمر: «رحمك الله، لقد ليَّنتَ مِنَّا قلوبًا كانت قاسية، وزرعت في قلوب النَّاس لنا مودَّة، وأبقيت لنا في الصالحين ذِكْرًا»[(٢)]، وهي شهادة تدلُّ على الإنصاف في ذلك الوقت الَّذي عزَّ فيه الإنصاف من قبل بني أُمَيَّة وهم من سَقَوا أبا حفص ـ وهذه كنية عمر بن عبد العزيز ـ السمَّ.

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤٥/٥)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ١٠٩، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

ومنها أيضًا: أنَّ هذا العصر الَّذي نحن فيه يكاد يجمع أهل العلم فيه والمُفَكِّرون والصالحون والمؤمنون العالِمون والعاملون، على أنَّ ما يحتاج إليه المسلمون لينهضوا هو قيادة تعمل عمل العُمَرَيْن وأبي بكر قبلهما، ولذلك فعرض مثل هذه النماذج الراشدة المهديَّة، على منابرنا هو من قبيل التربية الواعية الَّتي تُحَبِّب إلينا الهُداة وعملهم.

ومنها أخيرًا: أنَّه لا يقدر على عرض سِيَر الهداة الراشدين إلَّا من آتاه الله العقل الراشد والقلب الفقيه، فيغوص في سيرهم ويستخرج دروس الرُّشد والهداية فيها، ثُمَّ يُقَدِّمها إلى الأجيال المُربَّاة سهلةً يسيرةً لا تمتنع على الاتِّباع، وتحثُّ فيهم عزائم الرُّشد على عمل الخير، ومن هؤلاء الفقهاء العالِمَيْن: علَّامتنا الشيخ يوسف القرضاوي حفظه الله الَّذي اخترنا له تلك الخطبة المنبريَّة القيِّمة عن عمر بن عبد العزيز، وأفرغناها كتابة نرجو من ورائها النفع لمن قرأها، والتربية لمن فاته درسها.

وما كان لهذا الدرس أنْ يبلغ مداه لولا حرص إدارة نادي الريَّان الرياضي ممثلة في قسم النشاط الديني بالنادي على إخراج وطباعة هذه الرسالة القيِّمة، وإهدائها للمسلمين، آملين أنْ ينفع الله بها حيث وقعت، وأنْ يهدي بها كلَّ ضالٍّ، وأنْ يزداد بها الَّذين اهتدوا هدًى، والله من وراء القصد.

محمود أحمد عوض

غُرَّة رجب ١٤١٧هـ

١٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٦م

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عمر بن عبد العزيز مُجَدِّد المائة الأولى

قرأتُ في مِجَلَّة عِلْمَانيَّة لكاتب عِلْماني ممَّن يزعمون أنَّهم من كُتَّاب التنوير ـ وهم كُتَّاب التضليل والتظليم ـ مقالة يهاجم فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ويزعم أنه تسبَّب في خراب الدولة الإسلاميَّة! ويُفضِّل عليه الحجَّاج بن يوسف الثقفي! فعجبت من هذا الضلال البعيد.

عمر بن عبد العزيز أحد أئمَّة الهُدى، وأحد النماذج المنيرة الخيِّرة في تاريخ هذه الأُمَّة، ذكر علماء هذه الأُمَّة أنَّه خامس الراشدين[١]، وأنَّه ممَّن ينطبق عليهم قول النبيِّ ﷺ: «**فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ**»[٢] أي: تمسَّكوا وتشدَّدوا في التمسُّك بها، فعمر من الراشدين المهديِّين، وقد أجمع علماء هذه الأُمَّة على أنَّه هو الَّذي جدَّد أمر الدين في المائة الأولى، وأنَّه بالإجماع ينطبق عليه قول النبيِّ ﷺ فيما رواه أبو داود عن

(١) روى عن سفيان الثوري وأبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد، قال ابن كثير: «وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمَّة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين». البداية والنهاية (٩/٢٠٠).

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السُّنَّة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠). عن العرباض بن سارية.

QaradawiBooks.com

أبي هُرَيْــرة رضي الله عنه : «**إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة ســنةٍ من يُجدِّد لها دِينَها**»[١].

فعمر بن عبد العزيز مجدد المائة الأولى، وهذا ما نشهده ونلمسه في سيرته رضي الله عنه ، فقد اســتطاع في مدَّة حكمه القصيرة وهي سنتان وخمسة أشــهر وجملة أيَّام، اســتطاع أنْ يضع من المبادئ، وأنْ يُحيي من سنن العدل، وأنْ يُميت من ســنن الجور، وأنْ يردَّ من المظالم، وأنْ يُقِرَّ من الحقوق، ما أحدث بــه ثورة في الحكم الإســلامي، وفي هــذه المدَّة القصيرة اســتطاع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يكون من الأئمَّة الراشدين حقًّا، وإنَّما أهله لذلك اســتعداد كريــم، ونفس مؤمنــة، وقلب يخاف الله عز وجل ، وعين تبكي أبدًا من خشية الله تعالى، كما تقول زوجته فاطمة: «ما رأيت أحدًا أكثر صلاة وصيامًا منه، ولا أحدًا أشــدَّ فرَقًا من ربِّه منه، وكان يُصَلِّي العشــاء ثمَّ يجلس يبكي حتَّى تغلبه عيناه، ومع هذا التعبُّد كان يناجي ربَّه فيقول: اللهمَّ، إنَّ عمر ليس أهلًا أن ينال رحمتك، ولكن رحمتك أهل أنْ تنال عمر»[٢].

* * *

(١) رواه أبــو داود في الملاحــم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوســط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وســكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.
ذكر ابن كثير رحمه الله : «قال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره: أن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المئة الأولى، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق لإمامته وعموم ولايته وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق». البداية والنهاية (٢٠٧/٩).
(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه (٢٢٤/٤٥).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

جدُّه لأمه عمر بن الخطَّاب

وعمر بن عبد العزيز أمــهُ أمُّ عاصمٍ ليلى بنــتُ عاصم بن عمر بن الخطَّاب[١]، وأمُّها زوجة عاصم بن عمر بن الخطَّاب، هي الابنة الَّتي مرَّ أمير المؤمنيــن عمر بن الخطَّاب فوجدها تتحاور مــع أمِّها، تقول الأم: «يا بُنَيَّة قومي فشــوبي اللبنَ بالماء»، فتقول البنت: «يا أُمَّاه أما ســمعتِ مناديَ أمير المؤمنين أنَّه نادى أن: لا يشــاب اللبن بالماء»؟ وتقول الأمُّ: «وأين أنت من مناديه الســاعة»؟ فتقول البنت: «إذا لــم يرني مناديه ألم يرني ربُّ مناديــه»؟ فبكى عمر رضي الله عنه، فلما أصبح دعــا بالمرأة وبابنتها وسأل: هل لها زوج؟ فقالت: «ليس لها زوج»، فقال: «يا عاصم تزوَّجْها»، فتزوَّجها فجاءت بابنة، فحملت بعمر بن عبد العزيز[٢]، ولذلك فعمر بن عبد العزيز له نصيب من جدِّه عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

وقد حــاول منذ ولي الخلافة أنْ يعرف ســيرة عمــر، وقضاء عمر، وأحكام عمر، وهدي عمر حتَّى يتَّخذه نبراسًــا وقدوة، وكان يستدلُّ في ذلك بقول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه**»[٣]، يقول

(١) البداية والنهاية (١٩٢/٩).

(٢) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٠٢/٦، ٣٠٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) رواه أحمد (٥١٤٥)، وقال مُخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي (٣٦٨٢)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وابن حبان (٦٨٩٥)، كلاهما في المناقب، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال عمر بن عبد العزيز «سـنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سـننًا الأخذ بها اعتصام بكتاب الله وقـوَّة على دين الله، ليس لأحدٍ تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمر من خالفها، من اهتدى بها فهو المهتدي، ومن استنصر بها فهو المنصور، ومن تركها واتَّبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولَّى وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا»، وروي عن مالك أنَّه قال: «أعجبني عزمُ عمر على ذلك» يعني: هذا الكلام[١].

* * *

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ٤٠.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نشأته رضي الله عنه

نشأ عمر بن عبد العزيز نشأة إسلاميَّة حيث كان البيت الأُمَوي ينشأ أبناؤه نشأةً أخرى، ولكنَّ الله وجَّهه وجهة حسنةً منذ شبابه، فقد أراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام، فقال: «يا أبه أوغير ذلك لعلَّه يكون أنفع لي ولك»؟ قال: «وما هو»؟ قال: «ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهائها، وأتأدَّب بآدابهم»، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة، وأرسل معه الخُدَّام، فقعد مع مشايخ قريش وتجنَّب شبابهم، وما زال ذلك دأبه حتَّى اشتهر ذكره، فلما مات أبوه عبد العزيز بن مروان، أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فخلطه بولده، وقدمه على كثير منهم، وزوجه بابنته فاطمة، وكانت قد اشتهرت بالحسن والجمال، وهي الَّتي قال فيها الشاعر:

بِنْتُ الخَلِيفَةِ والْخَلِيفَةُ جَدُّها أختُ الخلائفِ والخَلِيفةُ زَوْجُها[1]

ولم يتمَّ لأحدٍ غيرها ذلك فهي بنت خليفة وحفيدة خليفة وزوجة خليفة، وإخوتها أربعة من خلفاء بني أُمَيَّة.

* * *

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٩٣/٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عمر واليًا على المدينة

وحينما تولَّى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد أبيه، عامل عمر بما كان يعامله به أبوه، وولاه المدينة ومكَّة والطائف من سنة ستٍّ وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وقد بنى في مدَّة ولايته هذه مسجدَ النبيِّ ﷺ ووسَّعه وأدخل فيه قبر الرسول ﷺ، وقد كان في هذه المدَّة من أحسن النَّاس معاشرة، وأعدلهم سيرة، وكان أعوانه وجلساؤه هم الفقهاء، عُروة بن الزُّبَير وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سليمان، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وعبد الله بن عامر، وخارجة بن زيد بن ثابت، وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيّب، وقد ثبت من غير وجهٍ عن أنس بن مالك قال: «ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى»[١] ـ يعني: عمر بن عبد العزيز ـ حين كان واليًا على المدينة[٢].

* * *

(١) رواه أحمد (١٢٤٦٥)، وقال مُخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الصلاة (٨٨٨)، والنسائي في افتتاح الصلاة (٩٨١).

(٢) البداية والنهاية (١٩٤/٩).

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

عمر وزيرًا لابن عمِّه سليمان

ولمَّا وَلِيَ سليمان بن عبد الملك الخلافة كان عمر بن عبد العزيز وزير صدق له يشير عليه بأحسن المشورة، وينصحه بأفضل النصائح، نظر سليمان إلى الحجيج في الموسم فقال لعمر بن عبد العزيز: «ألا ترى هذا الخلق الَّذي لا يحصي عددَهم إلَّا الله، ولا يَسَع رزقهم غيره؟!»، فقال عمر: «يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيَّتك اليوم، وهم غدًا خصماؤك عند الله»! فبكى سليمان بكاءً شديدًا ثمَّ قال: «بالله أستعين»[(١)].

وقد كان من حسنات سليمان بن عبد الملك ـ وهو من أمثل خلفاء بني أُمَيَّة ـ أنَّه ولَّى العهد من بعده عمر بن عبد العزيز، فكان هذا مضافًا إلى ميزان حسناته، يقول مُحَمَّد بن سيرين: «رحم الله سليمان بن عبد الملك: افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتحها بإجابة الصلاة لمواقيتها، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز»[(٢)].

* * *

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٠/١٧٤)، تحقيق روحية النحاس وآخرين، نشر دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) المصدر السابق (١٠/١٧٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

عمر بن عبد العزيز أميرًا للمؤمنين

لمَّا حضر الموت سليمان بن عبد الملك استشار رجاء بن حَيْوَة ـ وكان وزير صدق لبني أُمَيَّة ـ فيمن يُوَلَّى، فقال رجاء: «إنَّ ممَّا يحفظ الخليفةَ في قبره أنْ يُوَلِّي على المسلمين الرجلَ الصالح»، وقال سليمان: «فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟» فقال رجاء بن حَيْوَة: «أعلمه والله خيرًا فاضلًا مسلمًا يحبُّ الخير وأهله، ولكنْ أتخوَّف عليه إخوتَكَ ألَّا يرْضَوْا بذلك»، فقال سليمان: «هو والله على ذلك»، وأشار رجاءٌ أنْ يجعل يزيد بن عبد الملك وليَّ العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان[1]، وقد كان الأمر كما أشار رجاء.

ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وما كان يطمع فيها، ولكن هكذا قدَّر الله ﷻ، فلما جاءه بمراكب الخلافة ـ وهي الخيول الحِسَان الجِيَاد المعدَّة لها ـ أبى أنْ يركبها، وركب دابَّته وانصرف مع الناس، حتَّى أتوا دمشق، فلما مالوا به نحو دار الخلافة قال: «لا أنزل إلَّا في منزلي، حتَّى تفرغ دار أبي أيُّوب»، يقصد سليمان ـ فاستحسنوا ذلك منه[2]، وأمر بردِّ أثمان الجياد، وأمتعة الخلافة وأمواله وأملاكه، وكانت كثيرة ـ إلى بيت

(١) انظر: البداية والنهاية (٩/١٨١، ١٨٢).
(٢) المصدر السابق (٩/١٨٣).

نسخة مجانية

مال المسلمين، حتَّى إنَّه ردَّ فصَّ خاتم كان في يده وقال: «أعطانيه الوليدُ من غير حقِّه»[١]، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في الملبس والمأكل والمتاع، حتَّى إنَّه ترك التمتُّع بزوجته الحسناء فاطمة بنت عبد الملك، ويُقال إنَّه ردَّ جهازها إلى بيت المال[٢].

وقد كان دخله قبل الخلافة أربعين ألف دينار، فترك ذلك كلَّه، حتَّى لم يبق له دخلٌ سوى أربعمائة دينار في كلِّ سنة، ونحن نرى النَّاس يتولَّون الحكم فقراء، فيخرجون منه أثرياء أصحاب ثروات طائلة، وأرصدة في البنوك في الداخل وفي الخارج، ولكن عمر بن عبد العزيز كان ثريًّا من أثرياء بني أُمَيَّة، فإذا به يصبح بعد الحكم والخلافة فقيرًا، وهذا هو التورُّع عن أيِّ شيءٍ فيه شُبْهة.

إنَّ الَّذي أفسد الحياة الإسلاميَّة قبل عمر بن عبد العزيز هو نهب الأموال العامَّة، والطمع فيها، وأنَّ كل إنسان يريد أنْ يُكوِّن لنفسه ثروة، وخاصَّة من أفراد بيت بني أُمَيَّة، ولكن عمر بن عبد العزيز اعتبر هذه الأموال «مظالم»، وردَّ هذه المظالم إلى أهلها، فمن عُرِف له حقٌّ عند أمير من أمراء بني أُمَيَّة، فمن حقِّه أنْ يشكو، ومن حقِّ شكواه أنْ تسمع، ومن حقِّ ظُلامته أنْ تردَّ، وما لم يُعْرَف له صاحب، فليؤخذ ويوضع في بيت مال المسلمين، وهذه هي سياسة عمر بن عبد العزيز.

* * *

(١) البداية والنهاية (٢٠٨/٩).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٩٣/٥)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مع ابنه عبد الملك

وقد كان له ابن متحمِّس من الأتقياء الورعين اسمه عبد الملك أشبه بشباب الصحوة الإسلاميَّة المتوثبين المتوقِّدين في عصرنا، فجاء يقول لأبيه: «يا أمير المؤمنين ما يمنعك أنْ تُمضي الَّذي تريد؟ فوالذي نفسي بيده ما أبالي أن لو غلت بي وبك القدور»، قال عمر: «وحقٌّ هذا منك؟» قال: «نعم والله»، قال عمر: «الحمد لله الَّذي جعل من ذريتي من يُعينني على أمر ديني، يا بُنَيَّ لو باهتُّ النَّاس بالَّذي تقول لم آمَنْ أن يُنكروها، فإذا أنكروها لم أجد بُدًّا من السيف، ولا خير في خيرٍ لا يجيء إلَّا بالسيف، يا بُنَيَّ إنِّي أُرَوِّض النَّاس رياضة الصعبة، فإنْ أبطأ بي عمر أرجو أنْ ينفذ الله مشيئتي، وإنْ تعد على مَنِيَّتي فقد علم الله الَّذي أريده»[1]، يعني أنَّه رضي الله عنه لا يريد أنْ يستخدم القوَّة وإنْ كان يملكها لحمل النَّاس على الحقِّ، وإنَّما يأخذهم بالرفق والتدريج؛ حتَّى ينفذوا بإرادتهم ما يريده منهم دون لجوء إلى السيف، وما أروع كلمته: «لا خير في خيرٍ لا يجيء إلَّا بالسَّيْف»!

* * *

(١) رواها ابن الجوزي في سيرة ومناقب عن عمر بن عبد العزيز صـ ٣٠١، ٣٠٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

زهدُه ﷺ وشدَّتُه مع نفسه وأهله

وكان من سياســته ما أعلنه حين جمع رؤوس النَّاس فخطبهم فقال: «إنَّ فَدَكَ كانت بيد رسول الله ﷺ يضعها حيث أراه الله، ثمَّ وليها أبو بكر وعمر كذلك. ثمَّ إنَّ مــروان أقطعها فحصل لي منهــا نصيب، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما، ولم يكن من مالي شيء أردُّه أغلى منها. وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله ﷺ»، فيئس النَّاس من المظالم عند ذلك، ثــمَّ أمر بأموال جماعة من بني أُمَيَّة فردَّها إلى بيت المال وسمَّاها أموال المظالم، فاستشفعوا إليه بالناس، وتوسَّلوا إليه بعمَّتِه فاطمة بنت مروان، فلم ينجع فيه شــيء، وقال لهم: «لتَدَعُنِّي وإلَّا ذهبتُ إلى مكَّة فنزلتُ عن هذا الأمر لأحقِّ النَّاس به»، وقال: «والله لو أقمتُ فيكم خمسين عامًا ما أقمتُ فيكم إلَّا ما أريد من العدل، وإنِّي لأريد الأمر فما أنفذه إلَّا مع طمعٍ من الدنيا حتَّى تســكن قلوبُهم، فإذا نفرت قلوبُهم من هذا سكنت إلى هذا»[1].

إذا أراد أنْ ينفذ أمرًا من أوامر الحق والعدل الَّتي فيها مشــقة على النفــوس جعل معهــا شــيئًا يســتريح إليه النَّــاس وهذا من حســن سياسته ﷺ.

(١) البداية والنهاية (٢٠٠/٩).

QaradawiBooks.com

وكان شديدًا على نفسه، شديدًا على أهله، شديدًا على أقربائه، شديدًا على ولاته. كان شديدًا على نفسه حتَّى إنَّه لم يسمح لنفسه أنْ يشم ريحَ عَنْبَرة جاءت إلى بيت المال فوضع يده على أنفه، فقيل له: «يا أمير المؤمنين إنَّها تشم»! قال: «وهل لها فائدة إلَّا الشم؟!».

وبعث يومًا غلامه ليشوي له لحمًا، فجاءه به سريعًا فقال: «أين شويته؟» قال الغلام: «في المطبخ»، فقال: «في مطبخ المسلمين؟» قال: «نعم»، فقال عمر: «كلْها فإنِّي لم أرزقها، هي رزقك»!

وسخَّنوا له الماء في المطبخ العام، فردَّ بدل ذلك بدرهم حطبًا[١]. وكان رضي الله عنه له سراج يكتب عليه حوائجه، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين، لا يكتب على ضوئه لنفسه حرفًا.

فانظروا كيف بلغ تورعه وكيف بلغت عفته، هكذا أيها الأخوة كان يأخذ نفسه بالشدة.

اشتهى يومًا عنبًا فسأل امرأته أنْ تقرضه درهمًا أو فُلُوسًا ـ أجزاء الدرهم ـ يشتري بها عنبًا، فلم يجد عندها شيئًا، فقالت له: «أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتك ما تشتري به عنبا؟!» فقال: «هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال في نار جهنَّم»[٢].

وحينما ولي الخلافة خيَّر امرأته فاطمة بين أنْ تقيم معه على أنَّه لا فراغ له إليها، وبين أنْ تلحق بأهلها، فبكت وبكت جواريها لبكائها، واختارت مقامها معه على كلِّ حالٍ، رحمها الله[٣].

(١) انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١٩١، ١٩٢. والبداية والنهاية (٢٠٢/٩).
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٩/٥).
(٣) المصدر السابق (٢٥٩/٥، ٢٦٠).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

استشعاره رَحِمَهُ اللَّهُ عِظَم المسؤوليَّة

إنَّه رجل يشعر بالمسؤوليَّة، قالت زوجته فاطمة: «دخلت يومًا عليه وهو جالس في مصلَّاه واضعًا خدَّه على يده ودموعه تسيل على خدَّيه فقلتُ: ما لكَ؟» فقال: «وَيْحَكِ يا فاطمة قد وليتُ من أمر هذه الأُمَّة ما وليتُ، فتفكَّرتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذي العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد. فعلمت أنَّ ربِّي وَجَلَّ سيسألني عنهم يوم القيامة، وأنَّ خصمي دونهم مُحَمَّد ﷺ، فخشيتُ ألَّا تثبت لي حُجَّة عند خصومته، فرحمتُ نفسي فبكيتُ»[1].

هكذا رأى نفسه مسؤولًا، ومن أوَّل يوم دخل عليه مولاه فقال: «ما لك هكذا مغتمًّا مهمومًا وليس هذا بوقت هذا؟» فقال: «ويْحَكَ وما لي لا أغتمُّ وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأُمَّة إلَّا وهو يُطالبني بحقِّه أنْ أؤدِّيَه إليه، كتب إليَّ في ذلك أو لم يكتب، طلبه مِنِّي أو لم يطلب»[2].

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٧/٤٥). وانظر: سير أعلام النبلاء (١٣١/٥، ١٣٢)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
(٢) البداية والنهاية (١٩٨/٩).

QaradawiBooks.com

هذه هي المسؤوليَّة، كان عمر بن عبد العزيز شديدًا على نفسه شديدًا على أهله، لم تأخذ امرأته منه شيئًا، ولا أولاده أخذوا منه شيئًا، حكوا أن أحد أبنائه أو أقربائه اشترى فصًّا بألف درهم، فكتب إليه يقول: «أمَّا بعد، فقد بلغني أنَّك اشتريتَ فصًّا بألف درهم، فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم، وأطعمْ بثمنه ألف جائع، واشتر فصًّا من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه»[١].

ولذلك لا ينبغي أنْ يكون المال العام كلأ مباحًا لأولاد الخلفاء والأمراء والرؤساء وأقاربهم بل ينبغي أنْ يعمل فيه بعمل عمر بن عبد العزيز مع أولاده وأقاربه، إذ كان قويًّا عليهم كما كان قويًّا على نفسه وعلى عمَّاله وولاته، ومنعهم من الإثراء على حساب الناس، ومنعهم أنْ يجمعوا الثروات من حرام من هنا وهناك باسم الهدايا ونحو ذلك. أهدى إليه رجل من أهل بيته تفاحًا، فاشتمَّه، ثمَّ ردَّه مع الرسول وقال له: «قل له: قد بلغت محلها» فقال له رجل: «يا أمير المؤمنين، إنَّ رسول الله ﷺ كان يقبل الهديَّة، وهذا رجل من أهل بيتك»، فقال: «إنَّ الهديَّة كانت لرسول الله ﷺ هديَّة، فأمَّا نحن فهي لنا رشوة»[٢].

رفض الرشوة المقنَّعة وكان حازمًا في ذلك، وأخذ عمَّاله وولاته في الأقاليم بهذا الحزم، ومع هذا رفع من أعطياتهم حتَّى لا يحتاجوا إلى أنْ يمدُّوا أيديهم إلى مال الغير، أعطاهم كفايتهم بالمعروف ووسع عليهم، فأعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار، ومائتي دينار، وكان يتأوَّل أنَّهم

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) البداية والنهاية (٢٠٣/٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إذا كانوا في كفاية تفرَّغوا لأشغال المسلمين، فقالوا له: «لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عُمَّالك؟» فقال: «لا أمنعهم حقًّا لهم، ولا أعطيهم حقَّ غيرهم»[١]، وكان أهله قد بقوا في جهدٍ عظيم، فاعتذر بأنَّ معهم سلفًا كثيرًا من قبل ذلك.

وقد اجتهد رَحِمَهُ اللَّهُ في مدَّة ولايته على قصرها حتَّى ردَّ المظالم ونفَّذ أحكام الإسلام ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وصرف إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وكان مناديه في كلَّ يومٍ يُنادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون ـ أي الَّذين يريدون الزواج والنكاح ـ أين المساكين؟ أين اليتامى[٢]؟ حتَّى أغنى كلًّا من هؤلاء.

وكتب إليه أحدهم يقول: «يا أمير المؤمنين! إنَّا نجد الرجل عنده البيت يكفيه، وعنده الفرس يركبه، وعنده السلاح، وعنده الأثاث في بيته، ومع ذلك فهو غارم، أنعطيه من الصدقة من بيت المال؟» قال: «نعم، لا بدَّ للمسلم من بيتٍ يَسكُنه، ولا بدَّ له من فرسٍ يُجاهد عليه، ولا بدَّ له من سلاحٍ يُقاتل به، ولا بدَّ له من أثاثٍ في بيته، أعطوه فإنَّه غارم»[٣]!

أرسل إلى بعضهم: إذا كان عندك فضل مالٍ بعد أنْ أعطيتَ الجند، فاقضِ عمَّن عليه دَيْن ولم يستطع الوفاء له، ومن تزوَّج ولم يقدر على نقدٍ (يعني: أنْ يدفع الصداق). ففعل، وقال: «بقيت عندي أموالٌ يا أمير المؤمنين؟» قال: «اقض بها الديون».

---

(١) البداية والنهاية (٢٠٣/٩).

(٢) البداية والنهاية (٢٠٠/٩).

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ١٤٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وبعث إليه واليه على إفريقيَّة (تونس وما حولها) يحيى بن سعيد يقول: «يا أمير المؤمنين، تجمعت عندي أموال من الصدقات، فبحثت عن فقراء يستحقُّون الزكاة فلم أجد؟» فأرسل إليه يقول: «اشترِ بها رقابًا فأعتِقْها»[١]! هكذا أغنى الله النَّاس بالخير والعدل، فلم يعُدْ يوجد فقراء يستحقُّون الزكاة، وتحوَّلت حصيلة الزكاة إلى تحرير الرقيق، يُشترى بها العبيد والجواري لتُعتق رقابهم من مال الزكاة، فلم يبدأ تحرير العبيد في أمريكا كما يزعم الزاعمون.

وقال أحدهم: «إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا[٢]، والله ما وَلِي حتَّى كان الرجل يأتيه المال العظيم فيبحث عمَّن يقبل صدقته فلا يجده، فيعود وماله في يده؛ لأنَّ الله قد أغنى النَّاس بعمر»[٣].

* * *

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ٦٥.

(٢) أكثر الروايات في كُتُب التاريخ على أنَّ خلافته رَحِمَهُ اللَّهُ كانت نحوًا من خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أي أنَّها سنتان وخمسة أشهر وأربعة أيام أو تزيد أيامًا قليلة. انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ٣٢٧، ٣٢٨. وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١٩٢/٩)، والسيوطي في تاريخ الخلفاء صـ ١٧٣، وغيرهم كثير.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٤٩٣/٦)، وجود إسناده ابن حجر في فتح الباري (٨٣/١٣)، عن عمر بن أسيد.

QaradawiBooks.com

عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة وبعدها

هذا هو عمر بن عبد العزيز الَّذي كان يقول قبل الخلافة: «لقد خفت أنْ يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي، وما لبست ثوبًا قطُّ فرآه النَّاس عليَّ إلَّا خُيِّل لي أنَّه قد بَلِيَ»، ثمَّ لمَّا ولي الخلافة خرج من ذلك كله وشاهده النَّاس بعد أنْ صلَّى الجمعة وجلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: «يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد أعطاكَ فلو لبستَ؟!» فنكَّس مليًّا، ثمَّ رفع رأسه فقال: «إنَّ أفضل القصد عند الجِدَة، وأفضل العفو عند المقدرة»[(١)].

كان قبل الخلافة إذا جيء له بثوبٍ يلمسه بيديه ويقول: «ما أحسنه لولا خشونة فيه!»، فلمَّا ولي الخلافة كان يُشترى له الثوب بدرهم أو درهمين، فيلمسه ويقول: «ما أحسنه لولا نعومة فيه»[(٢)]، ودخل عليه

(١) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٤١٨)، تحقيق عبد القادر عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٠١/٢)، قال رجاء بن حيوة وزيره ومستشاره: أمرني عمر بن عبد العزيز أنْ أشتري له ثوبًا بستة دراهم، فأتيته به فجسه وقال: هو على ما أحب لولا أن فيه لينا. قال: فبكيت. قال عمر: فما يبكيك؟ قال: أتيتك وأنت أمير بثوب بستمئة درهم فجسسته وقلت: هو على ما أحب لولا أنَّ فيه خشونة، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة دراهم فقلت ما قلت! فقال: يا رجاء، إنَّ لي نفسًا تواقة تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فوليتها، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها، وقد تاقت إلى الجنَّة فأرجو أنْ أدركها إنْ شاء الله.

QaradawiBooks.com

صهره مَسْـلَمة بن عبد الملك يعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقال لأخته فاطمة زوجة عمر: «يا فاطمة، اغسلي قميص أمير المؤمنين»، قالت: «نفعـل إنْ شـاء الله»، ثمَّ غدا فـإذا القميص على حالـه، فقال: «يا فاطمة، ألـم آمُرْكم أنْ تغسـلوا قميص أمير المؤمنيـن؟ فإنَّ النَّاس يعودونه»، قالت: «والله ما له قميص غيره»[١]!

هكذا كان عمر بن عبد العزيز، قميص واحد مرقوع لا يُغَيِّره، وإذا غسله بقي في البيت حتَّى يجفَّ الثوب، ماذا نقول في هذا النموذج الرفيع العالي من نماذج التعفُّف والزهـد، يتعفَّف ويزهد، ولا يأخذ من متاع الدنيا بعض ما يأخـذه الناس، ويتوق إلى منزلة عالية رفيعة هي الجنَّة الَّتي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وكان يخدُم نفسه بنفسه ويقول: «ما تركت شيئًا من الدنيا إلاَّ عوَّضني الله ما هو خير منـه»[٢]. وكان يأكل الغليظ ولا يبالي بشـيءٍ من النعيم، حتَّى قيـل: «كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أُوَيْـسٍ القَرْني؛ لأنَّ عمر ملك الدُّنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟ فليس من جرَّب كمن لـم يُجَرِّب»[٣]. وقال مالك بن دينـار: «يقولون ما لـك زاهد، أي زهد عنـدي؟ إنَّمـا الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة»[٤]!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٥٨/٥).
(٢) البداية والنهاية (٢٠٨/٩).
(٣) المصدر السابق.
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (٥٢٩)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وانظر: البداية والنهاية (٢٠٢/٩).

QaradawiBooks.com

وكما يحدث مع الأئمَّة والصالحين أنْ يوجد من يظن بهم السوء، فقد حدث هذا مع عمر بن عبد العزيز بعد موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ جاء عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال ليزيد بن عبد الملك: «يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا المرائي ـ يعني: عمر بن عبد العزيز ـ قد خان من المسلمين، كل ما قدر عليه من جوهرٍ نفيسٍ ودُرٍّ ثمين في بيتين في داره مملوءين، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر»، فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك يقول: «بلغني أنَّ عمر خلف جوهرًا ودرًّا في بيتين مقفولين»، فأرسلت إليه: «يا أخي، ما ترك عمر من سَبَد ولا لَبَد[1]، إلَّا ما في هذا المنديل، وأرسلت إليه به»، فحلَّه فوجد فيه قميصًا غليظًا مرقوعًا ورداء قَشِبًا، وجُبَّة مَحْشُوَّة غليظة واهية البطانة، فقال يزيد للرسول: «قل لها ليس عن هذا أسأل، ولا هذا أريد، إنَّما أسأل عما في البَيْتَيْن»، فأرسلت تقول له: «والَّذي فجعني بأمير المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولي الخلافة لعلمي بكراهته لذلك، وهذه مفاتيحهما فتعالَ فحوِّل ما فيهما لبيتِ مالِكَ»، فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتَّى دخل الدار، ففتح أحد البيتين فإذا فيه كرسي من أَدَم وأربع آجرَّات مبسوطات عند الكرسي وقمقم، فقال عمر بن الوليد: «أستغفر الله»، ثمَّ فتح البيت الثاني فوجد فيه مسجدًا مفروشًا بالحصا، وسلسلة معلقة بسقف البيت، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الإنسان رأسه فيها إلى أنْ تبلغ العنق، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته، ووجدوا صندوقًا مقفلًا، ففتحه فوجدوا فيه سفطًا، ففتحه فإذا فيه درَّاعة وتُبَّان، كل ذلك من مُسوح

(١) سبد ولبد بمعنى: شعر وصوف، والمراد ما ترك عمر من قليل ولا كثير. انظر: المعجم الوسيط مادة (ل. ب. د).

QaradawiBooks.com

غليظ، فبكى يزيد ومن معه وقال: «يرحمك الله يا أخي، إن كنتَ لنقيَّ السـريرة، نقيَّ العلانية». وخرج عمر بن الوليـد وهو مخذول يقول: «أستغفر الله، إنَّما قلتُ ما قيل لي»[1].

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

(١) القصة بطولها ذكرها ابن كثير في: البداية والنهاية (٢١٥/٩).
و«السفط»: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها، والدرَّاعة ثوب من صوف أو جبة مشـقوقة المقدَّم. أما «التُّبَّان» فهي سـراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مع أولاده رضي الله عنه

كان أولاده من أقل أولاد النَّاس مالًا، فقيل له: «هؤلاء بَنوك ـ وكانوا اثني عشر ـ ألا توصي لهم بشيء فإنَّهم فقراء؟»، فقال: «﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، والله لا أعطيهم حقَّ أحد، وهم بين رجلين: إمَّا صالح، فالله يتولَّى الصالحين، وإمَّا غير صالح، فما كنت لأعينه على فسقه»، أو قال: «فلا أبالي في أيِّ وادٍ هلك»، وفي رواية قال: «أفأدَع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل»، ثمَّ أوصى أولاده بهذا الكلام وقال: «انصرفوا عصمكم الله، وأحسن الخلافة عليكم»[(١)]. وهكذا تكون الوصيَّة، وقد عمل بها الأبناء حتَّى كانوا من أغنى الناس، إلى درجة أنَّ بعض أولاد عمر بن عبد العزيز كان يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان أولاد ـ أو بعض أولاد ـ سليمان بن عبد الملك مع كثرة ما ترك لهم من الأموال يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، وذلك لأن عمر وكَل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنَّما وكلوا أولادهم إلى ما يَدَعون لهم من أموالٍ فضاعت الأموال في الشهوات ولم يبقَ إلَّا الفقر، وهكذا ترك عمر أولاده وليس لهم شيءٌ ولكنَّهم كانوا بعد ذلك من أغنى الناس، أغناهم الله بالحلال، ولم ينلهم أذًى من بني العبَّاس حين زال مُلْك بني أُمَيَّة.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٥/٢٥٢).

QaradawiBooks.com

مع بطانته ورعيَّته

عمر بن عبد العزيز كان نموذجًا رفيعًا من النماذج الإسلاميَّة الَّتي صنعها الإسلام، صنع الإسلام هذا النموذج فأقام الحقَّ، وأرسى دعائم العدل، وردَّ الأمانات إلى أهلها، وأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ولم يبال ما أصابه في سبيل الله، استعان بأهل الفقه والدين ولم يستعن بخبيث ولا شرير، فالبطانة السيِّئة هي الَّتي تُوَجِّه الملوك والخلفاء والأمراء إلى الجحيم والعياذ بالله، والبطانة الطيِّبة هي الَّتي توجِّههم إلى طاعة الله ﷻ، كتب عمر إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب يقول: «أمَّا بعد، فإنَّ الله تبارك وتعالى ابتلاني بما ابتلاني به من أمركم من غير مشورة مِنِّي فيه ولا طلب، إلَّا قضاء من الرحمن الرحيم، فأسأل الَّذي ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده أنْ يحسن عوني وعاقبتي، وعاقبة من ولاني أمره، وقد رأيت أنْ أسير في النَّاس بسيرة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إنْ قضى الله ذلك واستطعتُ إليه سبيلًا، فابعثْ إليَّ بكُتُب عمر وقضائه في أهل القبلة، وأهل العهد، فإنِّي مُتَّبع أثره، وسائر بسيرته إنْ شاء الله تعالى، وأسأل الله التوفيق لما يحبُّ ويرضى».

فأجابه سالم: «كتبت إليَّ تسألني أنْ أبعث إليك بكتب عمر وبقضائه في أهل القبلة وفي أهل العهد، وإنَّ عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك،

QaradawiBooks.com

وعمل بغير رجالك، وإنَّك إن عملتَ في زمانكَ على النحو الَّذي عمل عمر بن الخطَّاب في زمانه، بعد الَّــذي رأيتَ وبلوتَ، رجوتُ أنْ تكون أفضل عند الله منزلةً من عمر بن الخطَّــاب، فقل كما قال العبد الصالح: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]»[(١)].

كان هذا دأبه منذ أنْ ولي الخلافة، ومن أوَّل دخوله فيها، واســتمرَّ على هذا حتَّى لقي الله ﷻ، بعث إليه واليه في مصر يشكو إليه من كثرة دخول النَّاس في الإسلام، وكان الولاة منذ زمن يفرضون الجزية على مَنْ أسلم، والأصل أنَّ من أسلم تســقط عنه الجزية، ولكنَّ الولاة وجدوا أنَّ كثرة الداخلين في الإسلام تؤثِّر في ميزانية الدولة العامَّة وتُقلِّل مواردها بعد أنْ تسقط عنهم الجزية، ولا تجب عليهم الزكاة إلَّا بعد حول، فكان الولاة يفرضون الجزية حتَّى على من دخل الإسلام، فبعث عمر إلى واليه على مصر يقول: «قبَّح الله رأيَكَ، إنَّ الله بعث محمدًا ﷺ هاديًا، ولم يبعثه جابيًا»[(٢)]. مهمَّة الدولة الإســلاميَّة هي الهداية وليســت الجباية، ليست جمع الأموال وتكديسها في الخزائن، إنَّما مهمتها هداية النَّاس فمن دخل في الإسلام فلا جزية عليه.

أقام عمر بن عبد العزيز العدل مع المســلمين ومع غير المســلمين حتَّى إنَّه كتب إلــى واليه على البصرة أنْ يضرب لفقــراء أهل الذِّمَّة من بيت مال المســلمين ما يكفيهم وأهليهم، واســتدلَّ علــى ذلك بقصة عمر بن الخطَّــاب مع اليهودي الَّذي كان يســأل النَّاس فقــال له عمر:

(١) أورد ابن الجوزي موعظة ســالم لعمر بن عبد العزيز كاملة بروايات متعددة في كتابه سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، فانظر هناك صـ ١٤٩ وما بعدها.

(٢) الطبقات الكبرى (٣٨٤/٤).

QaradawiBooks.com

ما أنصفنـــاك، أخذنا منـــك الجزية شـــابًّا وأهملناك شـــيخًا، افرضوا له ولضربائه من بيت مال المسلمين ما يكفيهم[١].

وأرســـل إليه بعض عمَّاله يقول: «إنَّ مدينتنا قد خربت، فإنْ ير أمير المؤمنين أنْ يقطع لنا مالًا نرمها به فعل»، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: «حصِّنْ مدينتك بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم فإنَّه مرمتها. والسلام»[٢].

وقد علَّق على هذا الكاتب الَّذي ذكـــرت فقال: «لو كان هذا في بلدٍ ديمقراطي لحوكم من أجل هذا الأمـــر!» وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الكاتب لم يفهم مقصد عمر بـــن عبد العزيز أنَّ المدن لا تحميها الأســـوار إنَّما يحميها العدل، اعدل بين النَّاس تراهم يحمـــون المدن، أمَّا إذا ظلمتهم وجُرْتَ عليهم ولم تُعْطِ أصحاب الحقوق حقوقهم فإنَّ الأسوار لا تُغني، ولن يدافع النَّاس عن مدينة يعيشـــون فيها مظلومين، ويرون الامتيازات لغيرهم، ولماذا يدافعون عنها وهم فيهـــا كالموتى، وليس لهم حقٌّ فيها ولا حرمة؟! لكن العدل بينهم يجعلهم ســـورًا بشـــريًّا يحمي المدن من المُغِيرين عليها والمُعْتدين عليها.

هكذا أيُّها الإخوة كان عمر بن عبد العزيز في سياســـته الماليَّة، وفي سياسته الحكيمة، وفي سياســـته الدعويَّة، وفي سياسته التربويَّة، قال له بعض النَّاس يومًا: «جزاك الله عن الإسلام خيرًا يا أمير المؤمنين»، فقال: «بل جزى الله الإسلام عَنِّي خيرًا»[٣] فما أبلغه وما أصدقه.

* * *

(١) الخراج صـ ١٣٩، تحقيق طه عبد الرؤوف ســـعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١١٠.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣١/٥).

QaradawiBooks.com

وفاته رضي الله عنه

ولم يصبر على عدله وحكمه الكائدون والمتآمرون، فسقوه السمَّ ليتخلَّصوا منه، سقاه بنو أُمَيَّة بعد أنْ وجدوه يتنكَّر لهم، ويردُّ أموالهم إلى بيت المال بالقِسطاس والعدل، وقد عرف يوم شرب السمَّ، وعرف الغلام الَّذي سقاه، فاستدعاه، وقال له: «ما حملك على ما صنعت؟!» فقال: «ألفُ دينار أُعْطِيتُها»، فقال عمر: «هاتها». فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثمَّ قال له: «اذهبْ حيث لا يراك أحدٌ فتَهْلِك»[(١)].

ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة ونصف[(٢)]، ولكنَّه في هذه السنين القليلة غيَّر الحياة، أحدث انقلابًا هائلًا في الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة ممَّا يدلُّ على أنَّ هذا الدين إنَّما يحتاج إلى قيادة مؤمنة مُصَمِّمة تختار أعوانها من المؤمنين الصالحين، قيادة على فقه في هذا الدين وعلى إيمان بعدل الله عزَّ وجلَّ، وتصميم على إقامته في الأرض،

(١) البداية والنهاية (٢٠٩/٩، ٢١٠).

(٢) تراوح الروايات في عمره حين توفي رحمه الله بين تسع وثلاثين وأشهر إلى أربعين، وانفرد ابن الجوزي برواية عن معمر ذكر فيها أنَّ عمر مات على رأس خمس وأربعين، انظر: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ٣٢٧، ٣٢٨.

QaradawiBooks.com

أسأل الله تبارك وتعالى أنْ يرضى عن عمر بن عبد العزيز، وأنْ يجعل منه أسوةً لحُكَّامنا وأمرائنا في البلاد الإسلاميَّة، وأنْ يجعل من سيرته عِبْرة لكلِّ مؤمن، وأقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

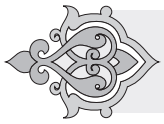

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٩٦	٣٢
سورة هود		
﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	٣٤
سورة النحل		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٤

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مخصص للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه	١٤
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كُلِّ مائة سَنَة من يُجدِّد لها دِينَها	٥، ١٣
ف	
فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذ	١٢

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

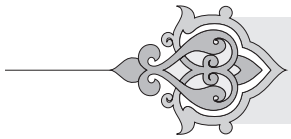

فهرس الموضوعات

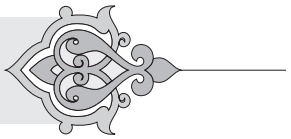

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

• مقدمة ٩

❖ عمر بن عبد العزيز مُجَدِّد المائة الأولى ١٢

❖ جدُّه لأمه عمر بن الخطَّاب ١٤

❖ نشأته رضي الله عنه ١٦

❖ عمر واليًا على المدينة ١٧

❖ عمر وزيرًا لابن عمِّه سليمان ١٨

❖ عمر بن عبد العزيز أميرًا للمؤمنين ١٩

❖ مع ابنه عبد الملك ٢١

❖ زهدُه رضي الله عنه وشدَّتُه مع نفسه وأهله ٢٢

❖ استشعاره رحمه الله عِظَم المسؤوليَّة ٢٤

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة وبعدها ٢٨

❖ مع أولاده رضي الله عنه ٣٢

❖ مع بطانته ورعيَّته ٣٣

❖ وفاته رضي الله عنه ٣٦

• فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤١

• فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٣

• فهرس الموضوعات ٤٥

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية